

الوافي في الوفيات

إن كنتم قد ولتعم بالجفاء وس... سلّمتم لي الهمّ - تسليمي إلى الحرس .
فكلّ ماءٍ سرت فيه مراكمكم ... دمعي وكلّ هواءٍ مزعجٍ نفسي .
وقال : وقع بيني وبين أولاد الشيخ واقع أوجب تركي لهم بعد ودٍّ أكيد . فشكوني إلى
الكامل . فتنكّر لي وتنمّـر وعيس وقال : ما لي أرى فخر الدين عتيان عليك ؟ قلت : لسوء
معاملته لي فقلت : إن رسم مولانا السلطات خلّـد [] ملكه أن أكون جليس بيتي وأنقطع عن
الخدمة فعلت ذلك داعياً لأيامه . فإني عاجز عن مداراة هؤلاء . فقال : لا أكلمك هذا ولكن
أمر الغلمان أنهم متى رأوك أخذوا نعالك . قال : فهوّنت ذلك وقلت : ما عسى أن يبلغ بي
إذاً ؟ ثم أمرني بالملازمة فجعلت أجيء فكما يقع عليّ عين الغلمان أخذوا نعلي من رجلي
فأدخل إليه مرةً حافياً ومرةً بخفافي وقد تنجّست بالطين . فإذا أردت أن أطأ البساط
نادى السلطان ومن حضره : لا تنجّس البسط . فدخلت إليه يوماً وأنشدته : من الكامل .
مولاي إنّك قد قتلت حواسدي ... لو يعلمون بأحسن الألفاظ .
ما إن أمرت بخلع نعلي دائماً ... إلا لتجعلني كبشر الحافي .
قال : فتبسّم وقال : نعم أحسناً إليك ورفعناك إلى هذه الدرجة فاشكرنا إذ جعلناك مثل
ذلك الرجل الصالح ولم يغيّر شيئاً . ثم دخلت يوماً وقد رشّوا الطريق بالماء فملأت
خفافي بالطين وصاح الغلمان : لا تدس البسط . فتقدمت وأنشدت : من السريع .
يا ملك الدنيا ومن حازها ... بعدله والبذل والباس .
أمرتني أن لا أطأ حافياً ... بساطك المغمصّ بالناس .
قلي ما أصنع في قدرتي ... أجعل رجليّ على راسي .
قال : فتبسّم ولم يغيّر شيئاً . فعجزت وقصرت حيلتي وجعلت أحلف له أن ذلك بلغ مني
مبلغاً عظيماً ولقيت منه شدةً وأسأله العفو فلا يزيدني على الضحك . فشكوت ذلك إلى
الصّلاح الإربلي الشاعر فقال : عندي لك حيلة إن شكرتها لي علّـمكها . فقلت : ما أشكرني
لما يذهب عني هذه الوصمة . فقال : إذا دخلت على السلطان فقع على نعله وخذها بمنديلك
وقل : يا مولانا إنّ نعلي قد استجارت بهذه النعل كما أن صاحبها ملك الملوك . قال :
ففعلت ذلك فضحك حتى استلقى وقال : بحياتي من علّـمك هذا ؟ قلت : صلاح الدين قال : قد
علمت أنها من فعلاته وأعفاني . ومن شعره : من الكامل .
عاتبتها فسقت بنرجس لحظها ... ورداً بفرط حيائه يتورّـد .
صنمٌ تعبّـد ناظري بجماله ... فلواحظي أبداً إليه تسجد .

وكتب تحتها قولي : فلوا حظي أبداً إليها تسجد من البديع . فكتب الكامل تحته : أخذت هذا من قول الشاعر : من المنسرح .
ولي حبيبٌ لم تبد صورته ... للنَّاسِ إلاَّ صلَّاتٍ له الحدق .
فأقسم له بحياته أنه لم يسمع ذلك .
الحلَّاج .

الحسين بن منصورٍ الحلَّاج الزاهد المشهور من أهل البيضاء بلدة بفارس .
نشأ بواسط والعراق وصحب الجنيد وغيره . والناس مختلفون في أمره فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يكفِّره . قال ابن خلكان : ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار لأبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله . وقد اعتذر له عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله : أنا الحقُّ وما في الجبِّ إلاَّ ا . وهذه الإطلاقات التي ينبو السَّمع عنها وعن ذكرها وحملها كلاًَّها على محامل حسنةٍ وأوَّسَّ لها وقال : هذا من فرط المحبِّة وشدَّة الوجد .
وجعل هذا مثل قول القائل : من الرمل .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... فإذا أبصرتني أبصرتنا .
ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله : من البسيط .
لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا ... لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن .
وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح : من البسيط .
ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له : ... إيَّـاك إيَّـاك أن تبتلَّـ بالماء .
وقال أبو بكر بن ثوابة القصري : سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول : من الوافر .

طلبت المستقرَّ بكلِّ أرضٍ ... قلم أر لي بأرضٍ مستقرَّ را .
أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أنَّني قنعت لكنت حرَّ ا .
والبيت الذي قبل قوله : لا كنت إن كنت أدري : من البسيط